له ذلك ان لم ينظر في دليل يفيده العلم بالمدلول عليه ومتى كان العلم مستفادا بالنظر فلا بد ان يكون عند الناظر من العلم المذكور الثابت في قلبه ما لا يحتاج حصوله الى نظر فيكون ذلك المعلوم اصلا وسببا للتفكر الذي يطلب به معلوما آخر ولهذا كان الذكر متعلقا بالله لانه سبحانه الحق المعلوم وكان التفكر في مخلوقاته كما قال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض) وقد جاء الاثر «تفكروا في المخلوق ولا تتفكروا في الخالق» لان التفكر والتقدير يكون في الامثال المضروبة والمقاييس وذلك يكون في الامور المتشابهة وهي المخلوقات واما الخالق جل جلاله سبحانه وتعالى فليس له شبيه ولا نظير فالتفكر الذي مبناه على القياس ممتنع في حقه وانما هو معلوم بالفطرة فيذكره العبد وبالذكر ربما أخبر به عن نفسه يحصل للعبد من العلم به امور عظيمة لا تنال بمجرد التفكر والتقدير اعني من العلم به نفسه فانه الذي لا تفكر فيه فأما العلم بما أخبر به ونحو ذلك فيدخل فيها التفكر والتقدير كما جاء به الكتاب والسنة ولهذا كان كثير من ارباب العبادة والتصوف يأمرون بملازمة الذكر ويجعلون ذلك هو باب الوصول الى الحق وهذا حسن اذا ضموا اليه تدبر القرآن والسنة واتباع ذلك وكثير من ارباب النظر والكلام يأمرون بالتفكر والنظر ويجعلون ذلك هو الطريق الى معرفة الحق والنظر صحيح اذا كان في حق ودليل كما تقدم فكل من الطريقين فيها حق لكن يحتاج الى الحق الذي في الاخرى ويجب تنزيه كل منهما عما دخل فيهما من الباطل وذلك كله باتباع ما جاءت به المرسلون وقد بسطنا الكلام في هذا في غير هذا الموضع وبينا طرق اهل العبادة والرياضة والذكر وطريق اهل الكلام والنظر والاستدلال وما في كل منها من مقبول ومردود وبينا ما جاءت به الرسالة من الطريق الكاملة الجامعة لكل حق وليس هذا موضع بسط ذلك وانما المقصود هنا ان الانسان يحس بانه عالم ويجد ذلك ويعرفه بغير واسطة احد كما يحس

بغير ذلك وحصول العلم في القلب كحصول الطعام في الجسم فالجسم يحس بالطعام الذي يغذوه وكذلك القلوب تحس بما تنزل اليها من العلوم التي هي طعامها وشرابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان كل آدب يحب ان تؤتى مأدبته وان مأدبة الله هي القرآن» وكما قال تعالى (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) وفي الصحيحين عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا وكانت منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة امسكت الماء فسقى الناس وزرعوا وكانت منها طائفة انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى العلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به فضرب مثل الهدى العلم الذي ينزل على القلوب بالماء الذي ينزل على الارض وكان لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم هذا ارزاق القلوب وقوتها وهذا ارزاق الابدان وقوتها قال الحسن البصري في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون قال ان من اعظم النفقة نفقة العلم ونحو هذا الكلام وفي اثر آخر نعمت العطية ونعمت الهدية الكلمة من الخير يسمعها الرجل فيهديها الى اخيه مسلم وفي اثر آخر عن ابي الدرداء ما تصدق عبد بصدقة افضل من موعظة يعظ بها اخوانه فيرتدعون فينتفعون وقد نفعهم الله بها وما يشبه هذا الكلام وعن كعب بن عجرة قال ألا اهدي لك هدية فذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجة في سننه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «افضل الصدقة ان يتعلم الرجل علما ثم يعلمه اخاه المسلم» وقال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فان طلبه عبادة وتعلمه حسنة وبذله لاهله قربة وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة والجث عنه جهاد ومذاكرته تسبيح ولهذا كان معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر والله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير فلذلك

Copyright © king Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)